

## تعرض الأطفال للمشاهد العنيفة وتأثيره على اكتساب السلوك العنيف

أ.د إدريس بولكعيات      د. ليلى بولكعيات

كلية علوم الاعلام والاتصال

جامعة قسنطينة 3-

### ملخص:

أصبحت وسائل الإعلام الجماهيري أكبر مؤسسة للتنشئة الاجتماعية في مجتمع المعلومات وتعود هذه السطوة لوسائل الإعلام على الأفراد للتغيرات التي حصلت منذ النصف الثاني من القرن العشرين الذي بدأت فيه ثورة تكنولوجية هائلة لا زالت متواصلة . فكل البيوت اليوم فيها أجهزة للتلفزيون تعرض بصورة متزايدة مشاهد العنف.

وقد اهتم الكثير من الباحثين بهذه الظاهرة لمعرفة ما إن كانت هذه البرامج تؤدي إلى اكتساب سلوك عنيف لدى الذين يتعرضون لها ولا سيما الأطفال .

وفي الجزائر ، تلتقط الأسر بشكل منتظم برامج وافدة عبر الفضائيات . وهذه الغزارة في التعرض تربك عملية التنشئة وتعرضها للاختلال. فالأسرة الجزائرية لا تسيطر على ضبط و اتقاء البرامج لأبنائها.

إن هذا المقال يتناول بالبحث موضوع التعرض لبرامج فيها مشاهد عنيفة من طرف الأطفال و انعكاسات ذلك على سلوكهم الاجتماعي بشكل عام.

### Abstract

The mass media has become the largest institution of socialization in the information society, and this media powerhouse has brought people back to the changes that have taken place since the second half of the twentieth century, when a huge technological revolution began. All homes today have television sets that increasingly display scenes of violence.

And many researchers have been interested in this phenomenon to see whether these programs lead to violent behavior in those who are exposed, especially children.

In Algeria, families regularly pick up satellite programs. This abundance of exposure confuses the process of formation and exposure to imbalance. The Algerian family does not control the control and prevention of programs for their children.

This article deals with the subject of exposure to programs in which violent scenes by children and the implications for their social behavior in general.

#### مقدمة:

أصبحت وسائل الاتصال الجماهيري، إحدى مؤسسات التنشئة الاجتماعية، بل لعلها الأهم في ضوء مجتمع المعلومات، حيث تنافس هذه الوسائل المؤسسات التقليدية للتنشئة الاجتماعية: الأسرة والمدرسة.

وتعود هذه السطوة لوسائل الإعلام على الأفراد إلى التغيرات التي حصلت في المجتمعات خلال النصف الثاني من القرن العشرين بفضل التقدم التكنولوجي الهائل و لاسيما في ميدان إنتاج وتخزين وتوزيع المعلومات بأسعار في متناول شرائح اجتماعية واسعة. فاليوم تكاد تكون في كل البيوت أجهزة ترانزيستور وأجهزة تلفزيون ولكن هناك متغيرات أخرى ذات طابع سيكولوجي وسوسيولوجي. فالعيش في المدينة أنتج الروح الفردية، العزلة التي يتطلب الخروج منها الاعتماد على ما تنشره وسائل الإعلام من أجل الحفاظ على التكيف مع البيئة.

كما أن خروج المرأة إلى العمل ودخول جهاز التلفزيون إلى البيوت الذي أصبح يبت برامج على مدار الساعة أعاد صياغة أدوار المدرسة والأسرة، حيث حد من استئثارهما بفعل التنشئة وفرض واقعا جديدا. وهو أن جهاز التلفزيون تحول هو الآخر إلى وسيلة للتنشئة، فالأطفال يتعرضون للبرامج التي يبثها لساعات يوميا ويتأثرون بمضامين تلك

البرامج. وقد تكون تلك المضامين معرقلة لهدف التربية. ولذلك حذر رجال التربية والأخلاق من خطورة هذه الظاهرة منذ الستينيات، ولاسيما أن هذه الوسيلة أصبحت تبث بصورة متزايدة برامج تحتوي مشاهد عنيفة. إن هذا النوع من العنف الذي تروج له وسائل الإعلام الجماهيري هو ما يطلق عليه تسمية "العنف الرمزي". وهذه التأثيرات المحتملة تقودنا إلى تسليط الضوء على الجدل الذي لا يزال دائرا منذ حوالي أربعين سنة حول الأثر الذي تتركه وسائل الإعلام ولاسيما التلفزيون على سلوك الأفراد، عندما يتعرضون لبرامج عنيفة، فهل يؤدي ذلك التعرض إلى التنفيس وبالتالي تعطيل أسباب ظهور عنف حقيقي لديهم أم أن ذلك يؤدي إلى خلق رغبة في المحاكاة أي الرغبة في تحويل العنف الرمزي إلى عنف حقيقي؟.

#### 1- ما العنف الرمزي؟

بحسب شارل بيرس S. Pierce واضع حجر الأساس للبراغماتية، وكذا السيميائية، فإن "ثمة ثلاثة أنواع من الإشارات: الإيقونة The icon والمؤشر (العلامة The index) و (الرمز The symbol)". أما الرمز فهو إشارة مرتبطة بموضوعها، وذلك مثل الكلمات أو إشارة المرور وهي تفقد طبيعتها كإشارة إذا لم يكن لديها مفسر<sup>(1)</sup> كما أن "الرمز" صفة تشير بمعناها السيميولوجي العام إلى ما هو دال، وهو بالمعنى الفينومينولوجي يشير إلى العلاقة بين الدال والمدلول على نحو يتجاوز فيه المدلول الدال، فالماء يرمز مثلا إلى الطهارة<sup>(2)</sup>. ويرى ريمون بودون، أن الرمزي يطلق على "نشاط الاستبداد الذي يقدم ترضيات تعويضية، في حال عدم تحقق النتائج المرجوة أو الموعدة. ويمكن أن يفسح المنطق الرمزي المجال للخدمة و المناورة"<sup>(3)</sup>. وبهذا المعنى، فإن هناك أشياء في حياة الإنسان تكون قابلة للترميز هي تلك التي يسميها "طقوسية": الزواج، الولادة، المسارة، التطهير الأضحية (الذبيحة)<sup>(4)</sup>.

ولعل مفهوم العنف ينطوي على محاولة "تقديم ترضيات تعويضية"، كما أن العنف له جانب طقوسي وهذان الجانبان يسمحان بالحديث عن عنف رمزي وللتدليل

على وجود هذا النوع من العنف ، يتوجب تحليل مفهوم العنف الذي يشير إلى سلوك يلجأ فيه الإنسان إلى استخدام القوة التي يتمحور حول استخدامها الفكر السياسي . فقد ورد في قاموس الفكر السياسي Dictionnaire de la pensee politique ، أن العنف " في معناه الأول هو فعل التسبب في الضرر للغير وذلك بالقتل أو البتر أو الجرح ويمكن أن نوسع معنى المصطلح إلى التهديد بهذه الأفعال و كل ما يضر معنويا أو ماديا " ويمكن أن نضيف إلى ذلك تدمير الممتلكات . بعض الكتاب السياسيين وسعوا مفهوم العنف ليشمل آثار الأنظمة السياسية والاجتماعية أو الاقتصادية القمعية التي تضر بالأشخاص الذين تحكمهم<sup>(5)</sup> . وهكذا ، فإن توسيع المفهوم يقود إلى الربط بين العنف والسلطة ، حيث أنه عنصر من عناصر امتلاكها وممارستها وإن كانت " حنا أريندت Hannah Arendt " ترى أن العنف نقیض السلطة ، مادام أن السلطة تأتي نتيجة العمل التعاوني للجماهير . في حين لا يستند العنف إلى عدد الفاعلين ولكنه يستند إلى التكنولوجيا التي يمكن أن تضاعف التدمير<sup>(6)</sup>

والحقيقة أن هذا التمييز الذي تطرحه " حنا أريندت " ، يقودنا إلى الاعتراف بوجود نوع من الغموض يحيط بمفهوم العنف . فهو يلبس ثوب الشرعية ، إذا مارسته أجهزة دولة ديموقراطية ، من أجل حماية المجتمع وقيمته من أولئك الذين يريدون كسر القواعد التي تحكم العلاقات بالعنف . فشرعية العنف مرتبطة بشرعية السلطة التي تمارسها ، وميز الفيلسوف الأمريكي ر. ب. وولف R.P wolf هو الآخر بين مفهوم " القوة la force " و " العنف la violence " معتبرا هذا الأخير استعمالا غير شرعي للقوة لتحقيق أهداف ما ، غير أن الاستعمال المرخص للقوة لا يدخل ضمن إطار مفهوم العنف<sup>(7)</sup> و يتفق ج. أرانغيرن J. Aranguren مع ر. ب. وولف حيث يميز هو الآخر بين " القوة " و " العنف " ، إذ يرى أن استعمال القوة يعتبر شرعيا عندما يمارس بالتطابق مع المعايير والقوانين الدستورية القائمة<sup>(8)</sup> ويرى بعض الباحثين ، أنه من الضروري إضافة صنف أو شكل آخر من العنف وهو العنف السيكولوجي الذي يجرح كرامة الإنسان وهكذا تم توسيع مفهوم العنف ، ففي مقال ن. غارفن N. Garven بعنوان " ما هو العنف ؟ " كتب : " إن العنف يرافق في أغلب الأحيان استعمال القوة الجسدية على نحو مباشر ، و لهذا السبب فإن الجمع بين الشكل الأول والثاني أي ( العنف و القوة ) ، ظاهرة منتشرة

على نطاق واسع وتقليدية في أذهان الكثير من الناس في حالات كثيرة فإن هذين المفهومين مترادفان " (8) .

ويقترح غارفر إدخال مصطلح " العنف السيكولوجي " وذلك للإشارة إلى الأشكال غير المباشرة والخفية للضغوط النفسية التي يتعرض لها الأفراد عبر وسائل الإعلام و الثقافة الجماهيرية والأديولوجيا والدعاية (9) .

إن هذا الشكل من العنف الذي يطلق عليه غارفر تسمية "العنف السيكولوجي" هو ما يمكن أن نطلق عليه تسمية " العنف الرمزي " الذي تعد وسائل الإعلام أهم مصادره ، حيث أنها تمثل الواقع ، وفق منظورات أيديولوجية تحقق المصلحة لفئة أو جماعة اجتماعية معينة على حساب جماعات "أو شرائح أخرى ، حيث تحاول تحت غطاء تقديم خدمة المعلومات إلى كافة الناس بقدر من النزاهة، تمرير وتغليب رموزها وقيمتها وقناعاتها و التعقيم على قيم ورموز وآراء الآخرين. وقد عرف أندسون وبوشمان ( 2001 ) الإعلام العنيف violent media بأنه ذلك الذي يحتوي على جهود مقصودة لإيذاء الآخرين ، بما في ذلك الأشخاص الحقيقيين – كما تعبر عن هذا وسائل الإعلام في عرضها التلفزيوني مثلا لأحداث العنف أو الحروب – وأفلام الكارتون ، وما بين هاذين النوعين من مشاهد الأفلام السينمائية وألعاب الفيديو المعبرة عن العنف وغير ذلك ، وقد عرف هؤلاء الباحثون العدوان بأنه سلوك يقصد به إيذاء فرد ما يحاول الابتعاد عن هذا الإيذاء وهم يعرفون العنف بأنه أشكال متطرفة من العدوان ، و لذلك فإن " كل العنف هو عدوان ولكن ليس كل عدوان هو عنف " (10) .

ويحدد معظم الباحثين في وصفهم للعنف عادة في كونه يتضمن إلحاق الأذى البدني ، إلا أنه لا يتضمن الاهانات اللفظية أو تهديد الآخرين أو الطابع العدواني أو السخرية أو الأشكال الأخرى للعدوان اللفظي التي تشاهد عادة في الكثير من البرامج والتي يمكن أن تسبب ضيقا أو إزعاجا للأطفال .

## 2- محاكاة المشاهد العنيفة:

منذ الستينات أصبح التلفزيون أقوى وسائل الإعلام على الإطلاق في الدول الغربية، ولذلك جلب اهتمام الباحثين الاجتماعيين والسيكولوجيين وكذا فلاسفة

الأخلاق حول التأثيرات المحتملة له على المشاهدين، ولاسيما في سن الطفولة والمراهقة. إن إحكام السيطرة على الجمهور يحتاج إلى مستوى معين من الإثارة. ولأن العنف يقع في قلب الإثارة، فإن التلفزيون يقدم برامج عنيفة لاستقطاب جمهور أكبر. ولذلك أصبح المكان المخصص للعنف بواسطة وسائل الإعلام، بشكل خاص التلفزيون مشكلا اجتماعيا أساسيا، و جلب المزيد من الاهتمام، لاسيما في أوروبا الغربية والولايات المتحدة " (10).

ولعل من البحوث الجادة التي اهتمت ببحث العلاقة بين التعرض للمشاهد العنيفة واكتساب سلوك عنيف، ذلك البرنامج الأمريكي الذي ضم 23 مشروعا لوزارة الصحة، وكلف مليون دولار في الستينات. ويعد هذا البرنامج بالغ التعقيد، حيث تعرض للتأويل من طرف فريق يزعم أن رابطة سببية قد تمت إقامتها مؤداها أن العنف في وسائل الإعلام يؤدي إلى سلوك عنيف.

ويقول جيمس. د. هالورين: " بعد فحص أعمال جرت في المملكة المتحدة وبلدان أخرى بما فيها الولايات المتحدة، أمكننا أن نستنتج عدم وجود أدلة على أن وسائل الإعلام يمكن أن يكون لها تأثير محسوس على مستوى العنف في مجتمع معين. والحق أن أغلب الأعمال باستثناء بعض الحالات المرضية للأفراد، ليست أبدا السبب الوحيد لسلوك من هذا النوع، ولكن يمكنها أن تلعب دورا إضافيا، محددا نسبيا " (11).

أما بالنسبة لجورج كومستوك George Comstock، الذي شارك في بحوث Surgeon General التابعة لوزارة الصحة الأمريكية فقد كتب في نهاية العام 1976 يقول: " يوجد ميل لاستخلاص أن العنف في التلفزيون يجعل المشاهدين أكثر عدوانية، إلى حد ما وأكثر صلابة، وعموما أكثر خشية إزاء المجتمع الذي يعيشون فيه. . غير أن المعطيات التي تم رصدها من طرف علم الاجتماع والعلوم السلوكية لا تبرز اتهامها بهذا التعميم " (12).

هناك إحصائيات مفزعة عن عدد أحداث العنف التي يشاهدها الأطفال في التلفزيون ومستوى العنف الموجود في ألعاب الفيديو التي يحبها الكثير من الأطفال والمراهقين، فقد يرى المشاهدون برنامجي عنف من كل ثلاثة برامج بصرف النظر عن الوقت الذي يشاهدون فيه التلفزيون خلال اليوم (سميث وويلسون smigh 2002 Nathanson).

(Wilson & ) ونحن إذا ما افترضنا أن الأطفال يستغرقون من 2-3 ساعات يوميا في مشاهدة التلفزيون عندما يعودون إلى منازلهم بعد انتهاء يومهم الدراسي ، فإنهم سوف يشاهدون 8000 جريمة قتل ، و 100000 جريمة عنف أخرى وذلك وهم في مرحلة الدراسة الابتدائية ( دونيرستين و سلابي وإيرون ، Slady 1994 & Eron ، Donnerstein ) ، عن واحد وستين في المائة من برامج التلفزيون تتضمن بع العنف ، و 70 % من مشاهد العنف يعقبها عقاب فوري ، 43 % من مشاهد العنف تتم وفقا للحالة المزاجية وأحيانا يصحبها فكاهاة ، ويقول دونيرستين وزملاءه (1994) إن مستوى العنف التلفزيوني قد ظل ثابتا تقريبا خلال العقدين الماضيين من الزمن بالرغم من أن كابل التلفزيون قد أضاف إليه الكثير ، ويقولون إن معظم العنف يقدم دون تقييم لمدى مشروعيته أو تقبله اجتماعيا ، وكثير من العنف الذي يعرض في الصباح وبعد الظهر يراه الأطفال .

وقد درس بشانان وزملاءه ( 2002 ) الأولاد والبنات من الصف الثالث والرابع والخامس وجمعوا بيانات من مصادر متنوعة ، بما في ذلك البحوث المسحية الخاصة بتقدير الزملاء وتقديرات المعلمين عن سلوك الأطفال العدواني وسلوكهم المضاد للمجتمع ، وكذا تقديرات الأطفال عن أنفسهم من حيث عاداتهم في استخدام وسائل الإعلام بما فيها التلفزيون ، كما تم قياس التحيز العدائي في العزو ( تفسيرهم لسلوك والمواقف ) ، وتم تجميع الأطفال مجموعات أربع كالاتي : الأطفال ذوي العدوان العالي على النمطين أو النوعين من العدوان ، الأطفال ذوي العدوان البدني العالي والعدوان الاتصالي المنخفض ، الأطفال ذوي العدوان الاتصالي العالي وذوي العدوان البدني المنخفض ، والأطفال غير العدوانيين بالمرّة . وقد وجد بشانان وزملاءه أن الوقت المستغرق في المشاهدة وذلك المستغرق في ممارسة ألعاب الفيديو – لا يرتبط فقط بمدى التعرض للعنف عبر وسائل الإعلام المختلفة – وإنما يرتبط كذلك بتفضيل ألعاب العنف وظهور العدوان البدني كما يقدر بواسطة المعلمين والزملاء . وعموما فغن الأطفال الأكثر تعرضا لمشاهد العنف الإعلامية هم أيضا أكثر تفضيلا من غيرهم لممارسة ألعاب الفيديو العدوانية ( بشانان وزملاءه 2002 ) .

\* وكان الأطفال المتسمون بالعدوان الاتصالي يقبلون على مشاهد العنف التلفزيوني ويمارسون ألعاب الفيديو المتسمة بالعنف أكثر من زملائهم غير العدوانيين وكان اثر السن والجنس على مشاهد العنف واختيارها من النتائج المهمة في الدراسة فقد اتضح مثلاً أن الأولاد كانوا يحبون مشاهد العنف أكثر من البنات ويزداد إقبال الأطفال على مشاهد العنف الإعلامي مع ازدياد أعمارهم ( بشانان وزملاءه 2002) وتوجد كذلك ارتباطات كثيرة دالة بين درجات العزو العدائي أو الاعتقاد بوجود قصد عدواني من تصرفات الآخرين ومدى التعرض لمشاهد العنف ، أي أن هذا يعني أن الأطفال الذين كانوا أكثر تعرضاً لمشاهدة العنف في التلفزيون أو ممارسة ألعاب الفيديو المتميزة بالعنف كانوا يميلون إلى توقع الشر في معاملاتهم مع الآخرين .

\* وقد قرر بايك وكومستوك Paik and Comstock ( 1994 ) من ناحية أخرى وجود ارتباط موجب بين مشاهدة العنف التلفزيوني والسلوك المضاد للمجتمع بصرف النظر عن السن ، وذلك في دراسة له على مجموعات من الأفراد بدأت أعمارهم منذ سن الحضانة وحتى سن الرشد ، وكانت مجموعة أطفال الحضانة أكثر المجموعات تأثراً وانفعالا بمواقف العنف المشاهد ومع هذا أقل قدرة من غيرها من المجموعات في الاقتداء بهذا السلوك ، وذلك بالرغم من هذه الفئة من الأطفال بأن العنف الذي يشاهدونه في التلفزيون هو حقيقي وذلك خلافاً لما كان يعتقد الراشدون المشاهدون ، وقد أوصى الباحثان بضرورة إجراء الدراسات للتعرف على طرأ على تأثير مشاهد العنف على مجموعة الأطفال الصغار بعد فترات زمنية طويلة عندما يكبرون ، لبيان تأثير هذه المشاهد على المدى الطويل عليهم ، وهو ما يعرف في علم النفس بالدراسات الطويلة ( بايك وكومستوك Paik & Comstock 1994 ) .

\* مستوى الذكاء لوحظ في عدة مجموعات من الدراسات وجود علاقة بين الذكاء والعدوان ، وقد وجد ويجمان وزملاءه Weigman et al ( 1992 ) علاقة سلبية ملحوظة بين الذكاء وكل من العدوان ومشاهدة التلفزيون ، فالأطفال الذين يشاهدون كثيراً من العدوان التلفزيوني ويسلكون أيضاً بعدوانية كانوا أقل في ذكائهم ممن لا يسلكون بعدوانية ، وقد ارتبط الذكاء في الأولاد بمشاهدات أقل للعنف التلفزيوني وسلوك عدواني أقل .

\* الجنس : وقد وجد باحثون آخرون أن هناك فروق بين الذكور والإناث فيما يتعلق بمشاهد العنف التلفزيوني والسلوك العدواني ، وقد وجد بايك وكومستوك Paik and Comstock (1994) مثلاً تأثيراً موجباً متسقاً ذي دلالة إحصائية للجنس ، إلا أن الفروق المشيرة إلى عدوانية الأولاد أكثر من البنات – بسبب مشاهدة كل منهما العنف التلفزيوني – كانت طفيفة وذلك في الدراسات المسحية الأكثر واقعية ، وقد قرر ليفين Livine (1995) أن الأولاد يبدو أنهم كانوا أكثر انجذاباً إلى المشاهد العنيفة كما كانوا أكثر تهيجاً وإثارة بمشاهدتها ، أما البنات فكان أكثر نفوراً وحزناً من هذه المشاهد .

\* ويرى كومستوك وسكارير (1999) وكومستوك وبايك (1991) أن هنالك عوامل أربعة تزيد من آثار مشاهد العنف في التلفزيون أو غيره من وسائل الإعلام على الأطفال وبالتالي تزيد أيضاً من فرص ازدياد عدوانهم وكذا سلوكهم المضاد للمجتمع ، وتتعلق الثلاثة الأولى منها بهذه المشاهد أما الأخير فهو متعلق بالطفل المشاهد نفسه والعامل الأول من هذه العوامل هو الفاعلية ، ويقصد بها مدى فاعلية السلوك العدواني الذي شاهده الطفل في التلفزيون في تنفيذ أهدافه ، وفيما ما إذا كان قد كوفي أو عوقب ، العامل الثاني هو المعيارية وتتعلق بمدى إمكانية تبرير العدوان ، وفيما إذا كانت له عواقب ، وما هي وهل كان يقصد به الإيذاء ، وما هي أسبابه ، والعامل الثالث هو الملائمة ، ( أي مدى ملائمة السلوك العدواني للطفل المشاهد ، ومدى شيوع هذا العدوان ومظاهر ما يحدث في الحياة الواقعية ، ونقص الجانب الفكاهي والهزلي فيه ) . أما العامل الرابع المتعلق بشخصية الطفل المشاهد نفسه فهو مدى قابلية الطفل للتأثر ( مثال هذا : استعدادة للتصرف بعدوانية ، وحالته الانفعالية كالسرور والإحباط والغضب ) . وتتضمن العوامل التي قد تسهل من عملية اقتداء الطفل بالنموذج العدواني توحده بالمعتدي وتبرير العدوان بأسباب معقولة لدى الطفل ، المكافأة المترتبة عنه أو الإثابة ، وما يوجد فيه من مظاهر مشابهة لما يحدث في الحياة الواقعية ( بايك و كومستوك 1994).

### 3- أجندة مروجي المشاهد العنيفة:

وإذا كان " ج. كومستوك " قد شكك في وجود علاقة مباشرة ، بين التعرض للمشاهد العنيفة واكتساب سلوك عنيف ، فإن " جورج غيبنر George Gebner ، و هو أحد أهم المختصين في ميدان الاتصال الجماهيري في أمريكا ، طرح مسألة العنف في التلفزيون ، من زاوية مختلفة حيث اعتبر ذلك مكيدة من الماسكين بزمام السلطة لتحسيس عامة الناس بوجود أخطار تترصد لهم وأنهم في حاجة إلى من يحميهم ، أي أن وسائل الإعلام تستخدم كأداة للتخدير وليس للتنبيه ، وينطلق " غيبنر " في بلورة هذه الفكرة من كون وسائل الاتصال الجماهيري ، ولاسيما التلفزيونية جزء من ذلك التيار الكبير للثقافة المعاصرة ، بل هو ذلك التيار نفسه . ويرى " غيبنر " أنه لا فائدة من التمييز الكلاسيكي بين الإعلام والتسلية . حيث أن التسالي بشكل خاص البرامج الدرامية تربوية إلى حد بعيد . إن التسالي المتلفزة تقدم أرضية لالتقاء كل مكونات الشعب ، ذلك أنها تشكل تيارا متواصلا من الانطباعات التي تمس مختلف جوانب الحياة والمجتمع ، و يذهب إلى القول بأننا لم نشهد لحد الآن كل الطبقات والشرائح والأعمار تتقاسم إلى هذا الحد الثقافة نفسها والآفاق نفسها<sup>(13)</sup> .

لكن السؤال الأهم هو: هل العالم الذي يتحدث عنه التلفزيون هو عالم وهمي لا تربطه روابط بالحقائق الاجتماعية و السياسية ؟

\* إن التعرض المتكرر لمشاهد العنف يمكن أن يعتبر بمثابة مراجعة عقلية أو تكرار معرفي cognitive rehearsal لتثبيت هذه المشاهد بتفاصيلها في ذاكرة الفرد مما يقوي و يدعم في القوائم المعرفية العدوانية aggressive cognitive scripts لسلسلة الأفعال والأحداث عنده ( سميث وزملاءه 2002 ) مما يؤدي على احتمال إقدامه على العنف في مواقف مشابهة إلا أن هذا متوقف أيضا على وجود مهارات بدنية وعوامل أخرى ( باندورا Bandura 1994 ) . إن تقليد العنف بواسطة المشاهدين الصغار يمكن أن يحدث إذا ما تم في المشاهد التلفزيونية بوسائل طبيعية كالرفس والضرب بالأيدي ، لهذا أيضا فنمط العنف الذي يظهر في هذه المشاهد يتوقف تقليده على مدى المهارات الموجودة لدى المشاهد ونوع استجاباته وكذا احتمال قيامه بتقليده .

فإذا ما شاهد طفل ما محبط بشدة من تفاعلاته الاجتماعية قدرا كبيرا من العنف التليفزيوني – ولم تكن معلوماته التي يتلقاها عن نبذ العدوان كحل لهذه المشكلات الاجتماعية غير كافية كي تساعد على كف عدوانه – فإن ذلك الطفل سوف يقلد ما قد شاهده ، وقد يكون هناك طفلا آخر يعاني من القدر نفسه من الإحباط ، ومشكلة سوء التفاعل الاجتماعي وتعرض للقدر نفسه من مشاهد العدوان ، إلا أنه كان قد تعلم استراتيجيات بديلة من أبويه أو أقرانه للتعامل مع الإحباط – أو لم يلق تشجيعا على تقليد النماذج العدوانية التي يراها في مشاهد العنف التليفزيوني – هذا الطفل لن يقلد النماذج التي يراها في هذه المشاهد .

يرى " غيبنر " ، أن الذين يشاهدون التلفزيون يميلون إلى تقبل ما يبثه على أنه حقيقي وبذلك يتصرفون كضحايا مما يجعلهم قابليين للتلاعب ومطيعين . ومشاهد العنف التي تظهر في كل البرامج ، حسب " غيبنر " لا تنتج العنف بصورة مباشرة ، ولكن بالعكس تنتج حالة اللاأمن وبالتالي العودة والانكفاء.

نحو القيم المحافظة للمجتمع<sup>(14)</sup> . وهكذا فعلى عكس ما ذهب إليه بعض الباحثين ، ورجال الأخلاق من أن المشاهد العنيفة تؤدي إلى اكتساب سلوك عنيف فإن " غيبنر " يذهب إلى النقيض من ذلك ، بالزعم أن هذه المشاهد تؤدي وظيفة وهي الحفاظ على الوضع القائم في النظام الاجتماعي .

وهكذا فإن الدراسات التي استغرقت وقتا طويلا ، وأخذت جهدا كبيرا من الباحثين ، انتهت إلى نتائج غير يقينية بل متناقضة . أي أننا لا نزال بشأن هذا الموضوع في نقطة البداية . بعد ثلاثين سنة من العمل الجاد .

#### 4- العنف الرمزي كعلاج :

بالرغم من أن الدراسات العلمية ، لم تنته إلى نتائج يقينية حول التعرض للمشاهد العنيفة ، إلا أن هناك رغبة وحذرا من أن يكون للعنف تأثير سلبي على المتلقين ، حيث نجد بعض الباحثين ، نقلوا النقاش إلى ما وراء هذه القضية ، ففي مقال لـ " أوليفيه مونغا " بعنوان " حظر الأفلام الدموية " ، طرح السؤال الأتي : "

Olivier Monguin " ما هي العتبات التي لا ينبغي تجاوزها لتجنب انتقال المشاهدين إلى الفعل ؟ "

بالرغم أن هذا السؤال هو مصادرة على المطلوب .فأن باحثين حاولوا من خلال تحليل بعض الشخصيات العنيفة رد العنف الذي يطبع سلوكها للتعرض لوسائل الإعلام. ففي فرنسا ، كان أودري موبان Audry Manpin و فلورنس ريه Florence Rey المهتمان بإزهاق أرواح الكثير من الأشخاص ، كانا معجبين بفيلم " القتلة بالطبيعة Natural born killers " وقبلهما جون هنكلي Jhon Hinkley المسؤول عن محاولة اغتيال الرئيس ريغان R.Reagan اتهم طيلة محاكمته بمشاهدة أكثر من مرة فيلم "سائق التاكسي taxi driver".<sup>(15)</sup> ويرى " أولفيه مونغان " أن النقاش يذهب إلى ما وراء تجاوز الخيال ، إذ أن ما يحدث على الشاشات يسلط الضوء على جزء من دواتنا وعلى تطور المجتمعات الديمقراطية ".<sup>(16)</sup> ما هو شائع في عصرنا هو الاعتقاد بأن المجتمعات الديمقراطية تتجه أكثر من غيرها نحو التهدة ، غير أن أفلام العنف تبين بأن هذه المجتمعات تشهد مرحلة غير مسبوقة من العنف ، حيث أن استهلاك مشاهد العنف يناسب ما هو موجود من عنف فعلي في المجتمع ، كما أن ذلك يعتبر طريقة لإبقائه بعيدا . فبمقدار ما أنهمش بعيني العنف بمقدار ما أحمي نفسي من ذلك الذي يجتاز مجتمعا

في طريقه إلى التهدة وهنا يلعب المثيردور المهدئ<sup>(17)</sup> . والحقيقة أن " أوليفه مونغان " ، ليس الوحيد في هذا الطرح الذي يفضل النظر إلى صور العنف من زاوية علاجية ، اذ نجد كتابا آخرين اتجهوا في تناولهم لموضوع العنف الرمزي في المنحى نفسه ، ومن هؤلاء " باسكال لاردوليه pascal lardellier " ففي مقال حول " ما تثيره أشربة المونغا من دوار les vertiges des mangas ، و " المونغا " هي عبارة عن أشربة من الرسوم والرسوم المتحركة اليابانية ، تتميز بغزارتها وحضورها القوي في أوروبا ، تتناول أفكارا بسيطة لكنها بالغة العنف ، يقول " لاردوليه " : أن العنف الحاضر بقوة وأحيانا بطريقة مؤذية في أشربة المونغا في طوكيو. إن هذه الأشربة تقوم بوظيفة التنفيس الجماعي والوقوف دون الانتقال إلى الفعل .إنها تخلص المجتمع من الدوافع التي يمكن أن تهدد النظام الاجتماعي<sup>(18)</sup> . ويبدو أن هذا الرأي يركز على دراسات حول ظاهرة " الخمول

passivité" التي يثيرها التعرض للتلفزيون ،ومن أهم الدراسات التي تناولت هذه الظاهرة بالبحث تلك التي قام بها "هملويت himmelweit وابنهيم oppenheim وفنس في المؤلف الذي يقدم دراستهم الميدانية الكبرى التي أجريت في بريطانيا حول تأثير التلفزيون على الأطفال (سنة 1958). وقد تمكن الباحثون من خلال الأسئلة التي وجهوها إلى المعلمين من الاعتراف بخمسة أشكال مختلفة من توظيف مصطلح "الخممول"، حيث حاولوا التأكد ما إذا كانت الانتقادات الموجهة إلى التلفزيون مؤكدة وهذه الانتقادات هي :

- 1- أن فعل المشاهدة ذاته هو نشاط ذهني سلبي.
  - 2- يستطيع التلفزيون أن يقود الطفل إلى تفضيل رؤية نسخة عن الحياة ذاتها.
  - 3- يفرز التلفزيون حالة المشاهدة وفقدان المبادرة .
  - 4- التلفزيون يضجر .
- وقد سأل الباحث "كلود برومن claude bremond المعلمين عن وسائل الإعلام فأجابوا بما يلي :
- "إنها تمتص القابلية للانفعال فلا ننفعل سوى لما هو عجيب أو عنيف جدا أو حي أو استثنائي تماما " .
- 5- إن التلفزيون يستهلك التخيل <sup>(19)</sup> .
- والخلاصة أن وسائل الاتصال الجماهيري أصبحت أهم ناقل أو مروج للعنف الرمزي في عصرنا .ويبدو أنه كلما ازداد ضخ المزيد من مشاهد العنف عبر وسائل الاتصال كلما أدى ذلك إلى فقدان الإحساس بالخطر غير أن الحاجة للإبقاء على الإحساس بالخوف لا تقل أهمية عن الحاجة إلى الإحساس بالأمان ومن الصعب الإبقاء على الإحساس بالخوف عند درجة معينة، فذلك يستدعي كل مرة إنتاج المزيد من مشاهد العنف .
- لكن تحويل استهلاك مشاهد العنف إلى حاجة يصعب الكف عن إشباعها ينطوي على مخاطر، وقد تنتهي بالإنسان إلى التحول إلى وحش يستهلك مشاهد العنف كما يستهلك المواد التي تحفظ له البقاء.



### الهوامش:

- 1- ارماند ماتيلار و ميشيليه ماتيلار، ترجمة أديب خضور، نظريات الاتصال الناشر / أديب خضور ، دمشق ، 2003 ، ص35-36 .
- 2-Dictionnaire des media، maison Mame ، France ، 1971، (Jean Batiste Fages et Christian Pagano) ، P282.
- 3- ر. بودون و ف. بوريكو ، المعجم النقدي لعلم الاجتماع ، ت/ سليم حداد ، ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر ، 1986 ، ص341 .
- 4- المرجع نفسه ، ص349.
- 5- Dictionnaire de la pensée politique ، Hatier ، Paris ، 1989، P829
- 6-Ibidem ; P830
- 7- Denissov(v) ، Les théories de la violence dans la lutte idéologique Edition du progrès ، URSS. 1980، P182.
- 8-Ibidem ; P189
- 9-Ibid ; P191 .
- 10- James D.Holloran ، les communications de masse :system ou cause de la violence et ses causes ، ( Jean – Marie Demenach et autre ( Unesco 1980) P131
- 11- Ibidem ; P136
- 12-Ibid ; P137
- 13- Ibid ; P145
- 14- Svez (Lucien) ، la communication ، (Que sais-je ) P.U.F، Paris 1997، P79-80.
- 15- Monguin (Oliver) ، interdire les films sanguinaires (article in culture ، Idiologie et société (manière de voir – le monde diplomatique ، Mars 1997
- 16-Ibidem
- 17-Ibid
- 18- Lardellier ( paseal ) 1 vertiges des mangas ، ( Article in culture ، idiologie et société ( manière de voir – le monde diplomatique ; Mars. 1997.
- 19- بيرجلان أوليفيه ، ثنائية الهروبية و الخمول في تأثير وسائل الاتصال الجماهيري ، مقال ترجمه /نصرالدين العياضي يضمن كتابه " وسائل الاتصال الجماهيري و المجتمع ، دار القصة للنشر ، الجزائر ، 1999 ، ص85-92.